



أغلب الذين يتمسّحون بفكر طه حسين (1307 - 1393 هـ، 1889 - 1973 م) ويتعصّبون له، يكرهون الوهابية، ويرفضون فكرها، ويررون في إمامها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1115 - 1206 هـ، 1792 - 1889 م) رمزاً للتحجّر والجمود والرجعية والتقليد!

وفي المقابل، ستجد أغلب الوهابيين وأنصار الشيخ محمد بن عبد الوهاب راضين لطه حسين، بل إنَّ بعضهم يخرج الرجل من ملة الإسلام!

حدث هذا، ولا يزال حادثاً في حياتنا الفكرية والسياسية، دون أن يقرأ أحدٌ من هؤلاء "الإخوة الأعداء" ما كتبه طه حسين عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن مذهبه ودعوته وهي كتابة مدحشة وكفيلة بأن تحدث إنقلاباً في فكر وموافق هؤلاء "الإخوة الأعداء"!

لقد كتب طه حسين - في مجلة الهلال، عدد مارس عام 1933 م - دراسة عن "الحياة الأدبية في جزيرة العرب" عرض فيها لمذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته فقال - ضمن ما قال - : "إنَّ مذهب محمد بن عبد الوهاب هو مذهب جديد قديم، جديد بالنسبة للمعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الأمر، لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصاً مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب، فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقائد والسير، كانوا يعظمون القبور ويتخذون من الموتى شفعاء عند الله، ويعظمون الأشجار والأحجار ويررون أنَّ لها من القوة ما ينفع وما يضر، وكانوا قد عادوا في سيرتهم إلى حياة العرب الجاهليين، فعاشوا من الغزو وال الحرب، ونسوا الزكاة والصلوة، وأصبح الدين اسمًا لا مسمى له، فأراد محمد بن عبد الوهاب أن يجعل من هؤلاء الأعراب الجفاة المشركين قوماً مسلمين حقاً، على نحو ما فعل النبي بأهل الحجاز منذ أكثر من أحد عشر قرناً.

ومن الغريب أنَّ ظهور هذا المذهب الجديد في نجد قد أحاطت به ظروف تذكر بظهور الإسلام في الحجاز، فقد دعا صاحبه

إليه باللين أو الأمر فتبعه بعض الناس، فلما أظهر دعوته أصابه الاضطراب وتعرض للخطر، ثم أخذ يعرض نفسه على النساء ورؤسائ العشائر كما عرض النبي نفسه على القبائل ثم هاجر إلى الدرعية وبايدهم أهلها على النصر كما هاجر النبي إلى المدينة.

ولكن ابن عبد الوهاب لم يرد أن يستغل بأمور الدنيا، فترك السياسة لابن سعود (1173 هـ، 1765 م) واستغل هو بالعلم والدين، واتخذ السياسة وأصحابها أداة لدعوته، فلما تم له هذا أخذ يدعو الناس إلى مذهبـه، فمن أجاب منهم قبل منه، ومن امتنع عليه أغريـ به السيف وشنـ عليه الحرب، وقد انقادـ أهل نجد لهذا المذهبـ وأخلصـوا له الطاعةـ وضحـوا بحياتهمـ في سبيلـه على نحوـ ما انقادـ العربـ للنبيـ وهاجـروا معـه.

ولولا أنـ التركـ والمصـريـن اجـتمعـوا علىـ حـربـ هـذاـ المـذـهـبـ وـحـارـبـوهـ فيـ دـارـهـ بـقـوـةـ وـأـسـلـحةـ لـأـهـلـ الـبـادـيـةـ بـهـاـ،ـ لـكـانـ منـ المـرـجوـ جـداـ أنـ يـوحـدـ هـذاـ المـذـهـبـ كـلـمـةـ الـعـرـبـ فيـ الـقـرـنـ الثـانـيـ عـشـرـ وـالـثـالـثـ عـشـرـ لـهـجـرـةـ،ـ كـمـاـ وـحـدـ ظـهـورـ إـسـلـامـ كـلـمـتـهـمـ فـيـ الـقـرـنـ الـأـوـلـ.

ولقد تركـ هـذاـ المـذـهـبـ أـثـرـهـ فـيـ الـحـيـاةـ الـعـقـلـيـةـ وـالـأـدـبـيـةـ عـنـ الـعـرـبـ،ـ وـكـانـ هـذـاـ الأـثـرـ عـظـيـمـاـ خـطـيرـاـ فـيـ نـوـاـحـ مـخـتـلـفـ،ـ فـهـوـ قـدـ أـيـقـظـ النـفـسـ الـعـرـبـيـةـ وـوـضـعـ أـمـامـهـ مـثـلـاـ أـعـلـىـ أـحـبـتـهـ وـجـاهـتـ فـيـ سـبـيـلـهـ بـالـسـيـفـ وـالـقـلـمـ وـالـلـسـانـ،ـ وـهـوـ قـدـ لـفـتـ الـمـسـلـمـيـنـ جـمـيـعـاـ وـأـهـلـ الـعـرـاقـ وـالـشـامـ وـمـصـرـ بـنـوـعـ خـاصـ إـلـىـ جـزـيـرـةـ الـعـرـبـ،ـ وـلـقـدـ اـسـتـدـعـيـ الـصـرـاعـ الـفـكـرـيـ بـيـنـ الـوـهـابـيـيـنـ وـخـصـومـهـمـ الـرجـوعـ إـلـىـ كـتـبـ الـتـرـاثـ وـنـشـرـ الرـسـائـلـ وـالـكـتـبـ الـتـيـ يـؤـيدـ بـهـاـ كـلـ فـرـيقـ مـذـهـبـهـ،ـ فـنـشـرـتـ كـتـبـ اـبـنـ تـيمـيـةـ وـابـنـ الـقـيـمـ وـاسـتـفـادـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ كـلـهـ مـنـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ الـعـقـلـيـةـ الـجـديـدـةـ.

وـظـهـرـ حـولـ الـأـمـرـاءـ الـمـجـاهـدـيـنـ مـنـ أـهـلـ نـجـدـ جـمـاعـةـ مـنـ الشـعـرـاءـ عـادـوـاـ بـالـشـعـرـ إـلـىـ الـأـسـلـوبـ الـقـدـيمـ،ـ وـأـسـمـعـونـاـ فـيـ لـغـةـ عـرـبـةـ فـصـيـحـةـ هـذـهـ النـغـمـةـ الـعـرـبـيـةـ الـحـلـوـةـ الـتـيـ لـمـ تـكـنـ تـسـمـعـ مـنـ قـبـلـ،ـ النـغـمـةـ الـتـيـ لـاـ تـقـلـدـ أـهـلـ الـحـضـرـ،ـ وـلـاـ تـتـكـلـفـ الـبـدـيـعـ،ـ وـإـنـماـ تـبـعـثـ حـرـةـ،ـ تـحـمـلـ كـلـ مـاـ تـجـيـشـ بـهـ نـفـسـ صـاحـبـهـ مـنـ عـزـةـ وـطـمـوـحـ إـلـىـ الـمـثـلـ الـأـعـلـىـ وـرـغـبـةـ فـيـ قـوـيـةـ فـيـ إـحـيـاءـ الـمـجـدـ الـقـدـيمـ".ـ هـكـذـاـ تـحـدـثـ طـهـ حـسـينـ عـنـ اـبـنـ عـبدـ الـوـهـابـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ الـمـدـهـشـ،ـ الـذـيـ لـوـ قـرـأـهـ أـنـصـارـ طـهـ حـسـينـ لـمـ أـهـالـواـ التـرـابـ عـلـىـ الشـيـخـ مـحـمـدـ بـنـ الـوـهـابـ،ـ وـلـوـ قـرـأـهـ الـوـهـابـيـيـوـنـ لـمـ أـخـرـجـوـ طـهـ حـسـينـ مـنـ مـلـةـ إـسـلـامـ!